

*Al-ttābith wa al-mutahawwil fī 'alāqāt al-ḥizb al-shuyū'ī
bi al-yahūd al-maghāriba*

الثابت والمتحول في علاقة الحزب الشيوعي باليهود المغاربة
1948-1943

براص محمد

أستاذ التاريخ المعاصر، الرباط

إذا كان عمل الوطنيين المغاربة قد ظل محكوما خلال مرحلة الثلاثينات من القرن الماضي بمجموعة من الشروط، امتزجت ضمنها انعكاسات العوامل الخارجية والداخلية، فإن ذلك ازداد أثرا بالسياسة المتشددة المتبعة من قبل الإقامة العامة بالمنطقة الجنوبية، وتوجيهات الإدارة الإسبانية بالمنطقة الشمالية. وي طرح هذا الأمر إشكالا حول وجود تنظيمات سياسية ترقى إلى مستوى ما يمكن نعته بالأحزاب، وإن كان هذا الوضع السياسي سيعرف تغيرا قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ ظهرت على الساحة السياسية المغربية أحزاب وطنية ذات أنماط فكرية مختلفة، توافقت مع ظروف النشأة ومحدداتها. وتحيل هذه المعطيات على ضرورة الاهتمام بالبحث عن علاقة بعض هذه الأحزاب بالأقلية اليهودية المغربية، ولا سيما على مستوى الحزب الشيوعي المغربي باعتباره يحمل بعدا فكريا وإيديولوجيا خاصا مقارنة مع بقية الأحزاب المغربية التي ظهرت خلال المرحلة نفسها.

فما هي الشروط الذاتية والموضوعية التي ظلت حاضرة على مستوى بناء البرامج السياسية لهذا الحزب؟ وما هي طبيعة علاقته باليهود المغاربة خلال مرحلة النشأة؟ وما هو مدى انسجام توجهاته مع الأطروحات التي تبنتها فئة من المثقفين اليهود المغاربة حول قضايا تخص اليهود والمسلمين على حد سواء؟ وهل طبعت علاقته باليهود المغاربة بنوع من الاستقرار أم شابهها تحول حسب الفترات التاريخية؟

1. تأسيس الحزب الشيوعي بين المغرب ودور النخبة اليهودية (1943-1945)

– الشيوعيون المغاربة وحسم "الإشكال الإثني"

ما من شك في أن الشيوعيين المغاربة الأوائل مسلمين كانوا أو يهودا قد حققوا تقدما سياسيا على مستوى نشر الفكر الشيوعي في أوساط المغاربة بشتى

أطياهم، مستفيدين في ذلك من وجود طبقة عمالية مغربية في القطاعات الصناعية والمنجمية والتجارية،¹ وهي الطبقة التي نظمتها القيادات الشيوعية داخل هيئات نقابية، ونجحت في تنظيم كثير من الإضرابات عبر مختلف المدن المغربية، بل وحققت جملة من المطالب النقابية على مستوى الرفع من الأجور وتحسين الوضعية الاجتماعية. كما نجح الشيوعيون المغاربة في خلق حركة سياسية بين صفوفهم، بنهجهم أسلوب الخلايا والتأطير المكثف للمنخرطين. إلا أنه وعلى الرغم من الطابع الذي تحمله الإيديولوجية الشيوعية في طبيعة تعاملها على مستوى منطلقاتها الفكرية تجاه القوميات الأخرى، كما هو الحال بالنسبة لمصير البلاشفة الأوكرانيين وغيرهم من القوميات والأعراق المتباينة في روسيا، حيث تم تهجير إثنيات كاملة من بلدانها، فإن هذا المنحى لم يتم تبنيه بشكل تماثلي بالنسبة للشيوعيين المغاربة، حيث تمكنت هذه القيادات السياسية، بما فيها العناصر اليهودية المغربية في هذه الفترة، من استقطاب عدد مهم من السكان المحليين إلى صفوف الحزب، من المسلمين واليهود المغاربة على حد سواء، وذلك طوال الفترة الممتدة ما بين عامي 1925 و1942. وترد الإشارة إلى أن هذه المرحلة قد امتزج فيها حضور المغاربة إلى جانب الشيوعيين الفرنسيين المقيمين بالمغرب.²

أما على المستوى الخارجي، فقد كانت العناصر القيادية الشيوعية قد بدأت تشعر بنوع من الاستقرار السياسي بعد التوتر العام الذي عاشته مباشرة بعد النزول الأمريكي سنة 1942، وهو توتر ناتج بالأساس عن تخوفها من إمكانية حصول تواطؤ بين السلطات الأمريكية وسلطات فيشي المستقرة بالمغرب.³ وفي الجزائر كان الجنرال دوغول (de Gaulle) قد بدأ يتحكم في زمام الأمور، مما يعني بداية ظهور

1. مجدد عبد السلام بورقية الظروف والعوامل التي دفعت إلى تأسيس الحزب الشيوعي المغربي في هذه الفترة، في التطورات العامة التي عرفها نضال الطبقة العاملة، وهو ما تأكد بالفعل من خلال ما جاء به ألبير عياش، مما يفسر أهمية النتائج التي حققتها المناضلون الأوائل داخل الخلايا والفروع الخاصة بالحزب في مراحل الأولى، انظر:

Bourqia Abdeslam et al., *Essais sur l'histoire du Parti communiste marocain, 35 années de lutte*, (Casablanca: Éditions Al-Bayane, [entre 1973 et 1981]), 14.

2. انظر مساهمة اليهود المغاربة ضمن نشاط الشيوعيين في مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين، في محمد براص، "الأحزاب الوطنية واليهود المغاربة بين تطور الأوضاع الداخلية وأصداء القضية الفلسطينية 1934-1967"، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، مرقونة، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2004، 559.

3. ألبير عياش، الحركة النقابية بالمغرب، مغرب الحركة 1943-1948، ج. 2 (الدار البيضاء: منشورات أمل، مطبعة النجاح الجديدة، 1997)، 17.

انفتاح سياسي أمام نشاط الشيوعيين بالمنطقة.⁴ وزاد انتصار الاتحاد السوفيتي في ستالينغراد سنة 1943 في الدفع بانتشار الإيديولوجية الشيوعية مقابل الإيديولوجية الصهيونية، خاصة وسط المثقفين اليهود في عدد من الدول العربية⁵ والأوروبية بما في ذلك المغرب، وهو المعطى الذي استفاد من "مفهوم تصدير الثورة" منذ بوادرها الأولى نحو عدد من الدول، بما فيها الدول العربية المستعمرة وفق مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا.⁶

- المغاربة الشيوعيون ومطلب مغربة الحزب -

وفي واقع الأمر، ظلت القيادات الشيوعية المغربية تعمل جاهدة لتحقيق استقلال من داخل بنية الحزب الشيوعي ذاته، ومن ثم بات الشيوعيون المغاربة، بموجب هذه المعطيات، يفكرون في الانتقال بتنظيمهم من مستوى التبعية إلى حزب مستقل، وهو معطى واكب على المستوى الخارجي توجه القادة الروس نحو إعادة النظر في كثير من المواقف العقائدية المتشددة، خصوصا تجاه الأديان، ومن ثم التصدي للدعاية المناهضة للفكر الشيوعي على مستوى بعض القيادات العربية، بما فيها بعض المغاربة أنفسهم. كما جاء قرار هذا التغيير في سياسة الحزب، موازيا لإعادة هيكلة الاتحاد العام للنقابات الكونفدرالية بالمغرب، الذي عقد مؤتمره التأسيسي في 13 يوليوز سنة 1943، فانبثق عنه مكتب يتكون في معظمه من العناصر الشيوعية،⁷ ومن ثم تحقق المبدأ الرامي إلى تجميع الطبقة العاملة في إطار تنظيم موحد. وهذا فضلا على اعتبار التنظيمات النقابية والمهنية وسيلة رئيسة لتنظيم الجماهير، بينما يرتبط عمل الحزب بدور الطليعة من الجمهور أساسا.

وتميزت هذه المرحلة أيضا، باستكمال مجموعة من الشباب المغاربة تكوينهم السياسي بما فيها العناصر اليهودية، إذ أصبحوا بموجبه في مستوى تحمل أعباء

4. نفسه، 32.

5. كاظم حبيب، يهود العراق والمواطنة المتزعزعة (ميلانو: منشورات المتوسط، 2015)، 415.

6. ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2013)، 77.

7. الملاحظ أن الكاتب أغفل في دراسته الحديث عن الحزب الشيوعي، إذ لم يتطرق إليه إلا عند حلول سنة 1943، باعتبار الدور المحدود للمغاربة داخله، وهو أمر غير وارد، إذ أن العناصر المغربية من المسلمين واليهود كانت حاضرة ضمن أنشطة الحركة الشيوعية منذ بداية العشرينيات، روبر ريزيت، الأحزاب السياسية في المغرب، تعريب محمد ضريف، محمد كرامي، محمد شقير (الرباط: منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1992)، 180.

الحزب وفهم الآليات الضرورية لمواجهة سياسة الإدارة الفرنسية، مع الاهتمام أكثر بالأفكار التقدمية والاشتراكية، وامتلاك قدرة أكبر على تنظيم المجال الاجتماعي بمختلف تفاعلاته، وذلك على الرغم مما اتسمت به سلطات الإدارة الاستعمارية من القوة والبأس.

حدد أحد الأعضاء المؤسسين للحزب الهدف من إنشاء حزب شيوعي مغربي في هذه المرحلة كالتالي: "[...] وكان الهدف من تأسيس الحزب الشيوعي المغربي هو تمكين الطبقة العاملة المغربية وحلفائها من الفلاحين والفقراء ومن المثقفين من تنظيم سياسي من نوع جديد قادر على تحليل الأوضاع الداخلية والخارجية تحليلا علميا، وعلى تنظيم كفاحهم [...]".⁸

لقد تم الإعلان عن تأسيس الحزب الشيوعي المغربي خلال الندوة الوطنية المنعقدة يوم 14 نونبر 1943 في مرآب قرب حديقة ليوطي بالدار البيضاء،⁹ فتم انتخاب أعضاء اللجنة المركزية والأمين العام ليون سلطان (Léon Sultan).¹⁰ وقد صرح ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي هنري لوزاري (Henri Lozeray) بالمناسبة قائلا: "[...] ، فيما يتعلق بالمغرب، يبدو أن مستقبله رهين بالدور الذي سيلعبه الشعب المغربي، ويجب أن تُعالج القضايا في كل حالة خاصة، أخذا بعين الاعتبار ظروف ومصالح الحركة بصفة عامة، إلا أن القضية الأساس في هذه الظروف تتمثل في القضاء على الفاشية، وفي ذلك تتمثل مصلحة الشعب الفرنسي والشعب المغربي [...]".¹¹

يبدو أن هذا الرأي، والذي يحمل نوعا من التحفظ الضمني من إطار المغربية، لم يكن هو نفسه المعبر عنه من قبل العناصر المغربية الحاضرة في أعمال هذه الندوة

8. بورقية عبد السلام، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي (مطبوعات البيان)، 13.

9. لم تسمح الإدارة الفرنسية بنشر تقارير الندوة، عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 34.

10. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 33، وأيضا شهادة عبد الله العياشي التي يعتبر فيها أن موقف الشيوعيين المغاربة أثناءها يعد من الأخطاء التي ارتكبتها هذه العناصر في توجيه سياسة الحزب، البيان، ع. 3161، 6 شتنبر (2000): 4، وأيضا:

Moustafa Bouaziz, "Le mouvement national (1912-1975) permanences et tentatives de renouvellement," Thèses de Doctorat de 3^{ème} cycle, Université de Sorbonne, Paris, 1987, 149; Charles-André Julien, *L'Afrique du Nord en marche. Nationalisme musulman et souveraineté française* (Paris: Julliard, 1952) 349.

11. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 33.

الوطنية. وقد عبر عن مضامينها عبد الله العياشي قائلا: "[...] أما العناصر المغربية فقد اعتبرت برنامج الندوة بعيدا كل البعد عن مطامح الشعب المغربي، وأن أهداف الحزب ظلت إصلاحية لا أقل ولا أكثر [...]".¹²

وإذا كانت أعمال هذه الندوة قد شكلت أرضية أساسية لإعلان استقلال الحزب الشيوعي المغربي عن نظيره الفرنسي، وبداية مرحلة جديدة من التنظيم والاستقطاب وفق نهج سياسي يأخذ بعين الاعتبار طبيعة الوضع وقيمة حضور النخب الحزبية المغربية من المسلمين واليهود على حد سواء،¹³ فإن السلطات الفرنسية بالمقابل لم تستغ فكرة إنشاء حزب شيوعي مغربي. ومباشرة بعد انتهاء الندوة، استدعت الإدارة الفرنسية جان مارتيني (Jean Martenet) وميشيل مزिला (Michel Mazella) ووجهت إليهما تحذيرا قويا، يقضي بدعوتها إلى عدم تشجيع السكان المحليين المسلمين منهم واليهود على تأسيس حزب شيوعي مغربي باعتبار أن "الأحزاب الفرنسية نفسها لا تتوفر على ترخيص للعمل السياسي بالمنطقة، وكل ما يُسمح به هو مجرد تجاوز من إدارة الحماية".¹⁴ فكيف سيواجه التنظيم "الحديث النشأة" هذا الوضع على مستوى النظرية والممارسة في ظل تحذيرات إدارة الحماية الفرنسية هاته؟

2. التنظيم الشيوعي بين النظرية والممارسة في إطاره المغربي

- دور اليهود المغاربة في إقرار آليات التواصل وإعادة هيكلة الحزب

بعد دخول الحزب الشيوعي المغربي منعطفه السياسي الجديد، شرع في إعادة النظر في طبيعة التنظيمات والخلايا التي كان يتوفر عليها، ومن ثم فقد سعى إلى تحقيق "مفهوم الوجود الجماهيري" والطليعة المنظمة، فضلا عن تشديده على

12. حول موقف عبد الله العياشي، البيان، ع. 3161، الأربعاء 6 شتنبر (2000): 4 كما عبر عن نفس الاتجاه ريزيت إذ اعتبر أن الحزب "الجديد" لم يعكس أي تغير في طبيعته، ريزيت، الأحزاب السياسية، ج. 2، 299.
13. عبر عن الرأي نفسه شارل أندري جوليان، إذ أشار إلى أن القيادات الشيوعية الفرنسية النشيطة، كما هو الحال بالنسبة لليون سلطان، بدأت تشعر بضرورة إشراك المغاربة في التسيير الفعلي للحزب، مما يعني ضمنا تغيير توجهه العام.

Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, 198.

14. تم استدعاء مارتيني ومازिला يوم 20 نونبر، حيث تلقيا بلاغا يتضمن ثلاثة عناصر أساس تحذر جميعها من عملية استقطاب السكان المحليين إلى الحزب، وترفض رفضا قاطعا أي نشاط سياسي لهما، حول تفاصيل البلاغ، عياش، الحركة النقابية، ج. 3، 2.

الشكل التنظيمي الجديد وشروط الالتزام لأعضائه واحترام حق العضو في المشاركة السياسية. وهذا ما جعله يعمل بالدرجة الأولى على تبني مفهوم تواصل يمكنه من تشریح البناء الاجتماعي وتحقيق التلاحم ما بين النظرية والتطبيق في بعدها السياسي، ومن ثم جاء التفكير في إصدار منبر إعلامي جديد يستطيع من خلاله نشر أفكاره بطريقة منظمة والتمكن بالتالي من تحقيق التعبئة الجماهيرية اللازمة والتواصل مع العناصر المنتمية أو المتعاطفة مع الحزب. وفي هذا السياق أصدر صحيفة لانايسون (*La Nation*) التي خصصت عددها الأول لتفسير مضمون الاستقلال، إذ رهنه تحقيقه بتمكين المغاربة من التحكم في مصيرهم،¹⁵ مع إمكانية تمتعهم بالحرية الكاملة في اختيار النظام السياسي الذي يطمحون للعيش تحت ظله.

وقد ساهم جرمان عياش (Germain Ayache) باعتباره من القيادات المثقفة داخل الحزب¹⁶ في هذا النقاش إلى جانب ليون سلطان وآخرين، وهو ما يفصح عن بداية ظهور نوع من الانفتاح السياسي داخل الحزب.¹⁷ كما أن المبادئ التي تم الإعلان عنها من قبل الشيوعيين في هذه المرحلة، كانت في الحقيقة تتناسب مع ما يطمح إليه بعض أفراد الأقلية اليهودية المتأثرة بالأفكار التحررية والمتشعبة بمبادئ الثورة الفرنسية، والتي كانت تأمل في تحقيق الارتباط بفرنسا.

ودعم الحزب سياسته التواصلية هذه بإصدار صحيفة ثانية أطلق عليها اسم: إيكاليتي (*Égalité*)،¹⁸ وهو ما شكل في حد ذاته إعلاناً صريحاً من أعضاء الحزب عن طابع المساواة والعدالة التي يدافعون عنها،¹⁹ مما كان يعتبر تحفيزاً حقيقياً للتحاق المغاربة بصفوفه والانضمام إليه بكثافة عبر خلاياه المنتشرة في عدة مناطق.²⁰

15. علي يعته، الصحافة الديمقراطية بالمغرب، حصيلة ومعاينة (الدار البيضاء: مطبوعات البيان، ماي، 1982)، 11.
 16. حول أعمال جرمان عياش ودوره ما بين المؤرخ والمناضل، عبد الرحمان المؤذن، عبد العزيز بلفايدة، جرمان عياش المؤرخ والمناضل (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2015).
 17. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 14.
 18. تم إصدارها باللغة الفرنسية نظراً للصعوبة التي كان يواجهها المناضلون الشيوعيون في الحصول على ترخيص لإنشاء صحيفة باللغة العربية، وكانت تطبع هذه الصحيفة سرا في أربع صفحات من الحجم المتوسط، انظر: يعته، الصحافة الديمقراطية، ج. 2، 12.
 19. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 32.
 20. صدر العدد الأول من جريدة إيكاليتي (*Égalité*) في غشت 1943.
 Georges Oved, *La gauche française et Le nationalisme marocain (1905-1955): Tome II: Tentations et limites du réformisme colonial* (Paris: L'Harmattan, 1984), 207.

كما وزع الحزب منشورا بتاريخ 31 يوليوز سنة 1943 ضمَّنه مجمل أفكاره التي قرر العزم على الدفاع عنها، بما في ذلك مسألة العلاقة بين الاتحاد الفرنسي والشعب المغربي. ومن جملة ما جاء في هذه الوثيقة ”مشروع التأكيد على طابع المساواة في انتماء الأفراد إلى الحزب،“ فلا يقع حصر الانضمام إلى الحزب في المسلمين لوحدهم أو سواهم من اليهود، كما جدد الحزب شعاره المتعلق بمحاربة جميع أشكال الفاشية والنازية، إذ اعتبرهما علة ما بلغت إليه الشعوب من التطاحن والصراع.²¹

والواضح أن العناصر القيادية للحزب دخلت بالفعل مرحلة التجديد بأسلوب مغاير في الدعاية والاستقطاب، خاصة وأن المرحلة السياسية في المغرب كانت تتجه أيضا نحو التصعيد وتحقيق المزيد من النقط الإيجابية على حساب السياستين الاستعماريتين الإسبانية والفرنسية، وهي خاصية لم تقتصر على الحزب الشيوعي في المغرب وحده، بل تجلت بالمظهر نفسه في دول أخرى، كما هو حال الحزبين الشيوعيين الجزائري والتونسي.²²

تجلت هذه المظاهر مع بداية سنة 1944 حيث شرعت قياداته في إعادة هيكلة الحزب والإسراع إلى ضم مزيد من الأفراد إلى صفوفه، خاصة بين أوساط الطبقة العاملة النشيطة في العمل النقابي. وقد حققت تقدما ملحوظا مكنها من احتلال مواقع سياسية متقدمة داخل التنظيمات النقابية كانت في السابق حكرا على الفرنسيين. كما عانت هذه الفئات المغربية كثيرا من حيف الإدارة الفرنسية وأرباب المعامل ومن أعباء الحرب الاقتصادية،²³ فتوجه الحزب الشيوعي المغربي تدريجيا نحو اختيار المناضلين المنخرطين في النقابات، فحالفه التوفيق في استقطاب عدد لا يستهان به من اليهود المغاربة الجدد إلى صفوفه، خاصة وأن بعض التنظيمات النقابية كانت تنعت أحيانا بـ”نقابات اليهود“²⁴ وهو دليل على أهمية عدد اليهود وكثافتهم داخلها.

21. منشور ”اتحاد الشعب الفرنسي والشعب المغربي ضد الفاشية العدو للذود للشعوب،“ وثائق الحزب الشيوعي، 31 يوليوز 1943؛ عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 37.

22. Oved, *La gauche française*, 222.

23. حول أهم الدراسات المتعلقة بظهور البروليتاريا، انظر :

René Gallissot, *Le patronat européen au Maroc: action sociale, action politique, 1931-1942* (Casablanca: Éditions Eddif, 1990), 27.

24. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc*, 186.

ومن بين الأسماء البارزة النشيطة في صفوف الحزب الشيوعي والهيئات النقابية، نذكر إيلي بن شيمول (Elie Benchimol) الذي اضطلع بأدوار بارزة في قيادة العمال والحرفيين وتنشيط فرع الحزب الشيوعي بمدينة الدار البيضاء،²⁵ وأيضا في استقطاب كثير من اليهود إلى صفوف الحزب، حيث سجلت تلك الفترة التحاق أبراهام السرفاتي.

والملاحظ أن دور الشيوعيين في العمل النقابي قد ازداد قوة في هذه المرحلة،²⁶ فانعكس بشكل إيجابي على قوة الحزب، وبدأ يعرف بدوره تطورا ملحوظا، بعد أن حالف عناصره النجاح في تنظيم أنفسهم وتأطير عدد كبير من الأفراد، فضلا عن تمكن القيادات الشيوعية من إذكاء الحماس في أوساط السكان المحليين لحثهم على العمل بين صفوف النقابيين وتحميلهم لبعض مسؤوليات التسيير والتوجيه.²⁷

وشكلت جميع هذه المعطيات عوامل مشجعة على الانخراط في العمل النقابي، والانضمام بالتالي إلى صفوف الحزب الشيوعي،²⁸ خاصة وأن الحزب قد تبنى من جديد سياسة الدفاع عن الطبقات الفقيرة والعمل على تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

وسعيا إلى تحقيق هذه المطامح، انكبت مجموعة من المناضلين على تنشيط بعض الجمعيات، أبرزها اتحاد نساء المغرب الذي تم تأسيسه بغية خلق حركة داخل العمل السياسي للحزب؛²⁹ إذ ساهم هذا الاتحاد في جمع التبرعات لفائدة الفئات الاجتماعية الفقيرة من عمال وفلاحين، وشارك إلى جانب مؤسسات خيرية أخرى وجمعيات قدماء تلاميذ المعاهد الإسلامية في تكوين لجان خاصة بمحاربة

25. إيلي بن شيمول يهودي مغربي، كان عاملا بمصنع للأحذية في الدار البيضاء، انظر عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 64.

26. اتجهت العناصر الشيوعية إلى الهيئات النقابية أملا في كسب شعبية متزايدة لضمان توسيع دائرة المنخرطين في الحزب، Oved, *La gauche française*, 226.

27. حول دور العناصر المغربية من المسلمين واليهود في العمل النقابي خلال هذه المرحلة، انظر عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 60-62.

28. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 146.

29. في غياب المادة الوثائقية، تظل المعلومات المتعلقة بهذه الجمعية جد ضعيفة، انظر البيان، ع. 3133، 10 غشت (2000): 6، وتفسيرات عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 42؛ وما جاء أيضا عند جورج أوفيد:

Oved, *La gauche française*, 223-224.

البؤس، وهي لجن نشطت بالخصوص في مدن الدار البيضاء والرباط وفاس وسلا ومراكش.³⁰ وانشغلت هذه اللجن الخاصة بتوزيع بعض المواد الغذائية على الفقراء (توزيع الحساء)، دون استثناء أحد من ذوي الحاجة، سواء كانوا من السكان المسلمين أو اليهود، فلقيت بذلك أصداء طيبة في الأوساط المغربية عامة.

وفي الواقع، لم تنحصر توجهات الحزب في سياسته الاجتماعية في هذا المجال فقط، بل إن طبيعة التحولات السياسية التي عرفها المغرب، فضلا عن قوة تأثير نخبه المغربية المسلمة واليهودية، قد استلزمت توسيع مطالبه ونشاطاته نحو أبعاد أعمق، وذلك في إطار مطلب التحرر والانعقاد الذي يساير منظور إيديولوجية الحزب ذاتها، فكيف جاء موقفه من أبرز المطالب على الإطلاق، ألا وهو مطلب تحقيق الاستقلال؟

- موقف الحزب من وثيقة 11 يناير 1944 وانخراط اليهود الشيوعيين المغاربة

كان من الطبيعي اهتمام الحزب الشيوعي المغربي في هذه الفترة بتحديد موقفه من عريضة المطالبة بالاستقلال كما تقدمت بها الحركة الوطنية في 11 يناير سنة 1944،³¹ إذ لم يكن الأمر بالسهولة المتوقعة.³² كما أن موقف الحزب المذكور من عريضة المطالبة بالاستقلال لم يكن بالصورة التي عبر عنها أشفورد (Ashford)، أي استنكار مباشر للحدث، بقدر ما جاء مبنيًا على معطيات محددة لا تفيد الرفض المباشر، بل تعطي تفسيرات مرتبطة بالتوجهات العامة للحزب، إذ اختلفت آراء المناضلين الشيوعيين حول هذه المسألة؛ فذهب البعض إلى أن عدم مساندة العريضة من قبل الشيوعيين يرجع بالأساس إلى سيطرة الفرنسيين على الحزب في هذه المرحلة، بينما رأى آخرون أن الظروف التي قدمت فيها العريضة لم تكن مناسبة، بدعوى أن المعالم السياسية الكبرى للبلاد لم تظهر بعد، وأن الحرب العالمية الثانية لم يسدل بعد الستار عن فصولها.³³

30. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 42.

31. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, 197.

32. دوغلاس إليوت أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكم (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1963)، 424.

33. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 36-37.

والواقع أن عدم إصرار العناصر الشيوعية في الرد بالإيجاب على مضامين العريضة³⁴ لم يكن له أي تأثير على انضمام العناصر المحلية إلى الحزب، بما في ذلك اليهود المغاربة، وإن كانت المعالم السياسية بالبلاد لم تتضح لديهم كذلك،³⁵ كما أن الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها جراء مخلفات الحرب ومخلفات قوانين فيشي لم يتم تجاوزها بعد، وهو ما أضفى درجة من اللبس على المسألة.

وهناك أمر آخر جعل هذه المسألة تعرف نوعا من الغموض لدى بعض اليهود، ويتعلق الأمر بتفسيرات قدمتها بعض قيادات الحزب الشيوعي للحدث؛ إذ فسرت المبادرة بأنها لا تعدو أن تكون مجرد مناورة سياسية من الفاشية تستهدف بها مناهضة السياسة الفرنسية بالمنطقة،³⁶ ومن ثم وقع الاقتصار على المطالبة بإطلاق سراح الوطنيين ممن احتجزوا بعد الأحداث التي تلت تقديم العريضة، بحجة أنهم قد سقطوا ضحية لتلاعبات الحركة الفاشية ومناوراتها.³⁷ ويحق التساؤل كيف دبر الحزب الشيوعي المغربي سياسته في استقطاب اليهود والمسلمين بعد هذه المرحلة العصبية؟

- نحو استقطاب اليهود المغاربة بالبوادي والحواضر

استمرت قيادات الحزب الشيوعي المغربي في رفع شعارات الدفاع عن مبادئ الديمقراطية والتصدي للدعاية الفاشية،³⁸ مع التركيز على أهمية مبدأ الوحدة بين السكان المسلمين واليهود والفرنسيين على حد سواء.³⁹ واعتمدت القيادات

34. القول بالإصرار لا يتعلق بجميع القيادات الشيوعية، فهناك من يرى أن بعض الأعضاء الشيوعيين عبروا عن موقفهم المساند لاستقلال المغرب منذ وقت مبكر، انظر ما كتبه أو قيد في هذا الشأن:

Oved, *La gauche française*, 207.

35. يرى محمد كنيبي أن انخراط عدد مهم من الشباب المسلم في صفوف الحزب الشيوعي عقب أحداث يناير فبراير من سنة 1944، قد كان من شأنه تسهيل التقارب بين الجماعتين، وهو أمر وارد خاصة وأن الحزب بدأ يتجه في هذه المرحلة نحو المغرب ولو بشكل بطيء نوعا ما، انظر محمد كنيبي، *يهود المغرب 1912-1948*، ترجمة إدريس بنسعيد (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 13، 2010)، 248. وحول التوجه نحو مغربة الحزب انظر: ريزيت، *الأحزاب السياسية*، 180.

36. Oved, *La gauche française*, 208.

37. Julien, *L'Afrique du Nord en marche*, 349.

ونجد الرأي نفسه كما عبر عنه عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس للصحراء (الرباط: مطبعة الرسالة، ج. 2، 1987)، 292.

38. عياش، *الحركة النقابية*، ج. 1، 185، وانظر أيضا:

Ahmed Zouggar, "Islam et Nationalisme au Maroc (1912-1956)," Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, soutenue à l'Ecole des Hautes Études en Sciences Sociales de Paris en 1976), 239.

39. دافع ليون سلطان عن فكرة الوحدة الشاملة (فرنسي-مسلم-يهودي)، انظر: Oved, *La gauche française*, 219.

الشيوعية مع بداية ظهور مؤشرات عن انتهاء الحرب العالمية الثانية، خطة اختراق البوادي المغربية، باعتبار أنها تتوفر على نسبة مهمة من السكان، وتمثل في الوقت ذاته مجالا حيويا أكثر ملائمة للعمل السياسي مقارنة بالمدن حيث المضايقات الشديدة من سلطات الإدارة الفرنسية. وفي هذا السياق، شكلت منطقة تادلة محطة أساسية في عمل الحزب خلال هذه المرحلة، إذ أصبحت تتوفر مع تقدم الحركة المنجمية بها على عدد من العمال، كما شهد النشاط النقابي أيضا تطورا ملحوظا بها مقارنة بالفترة السابقة.⁴⁰

وعلى المنوال نفسه، نشطت القيادات الشيوعية في مدينة مكناس بنفس الحماس والقوة في تعبئة الجماهير وتحقيق بعض المطالب، حيث تمت إعادة هيكلة خلايا الحزب، بل إن القيادات الشيوعية حققت تقدما ملموسا في تفاوضها مع الإدارة الفرنسية حول الاستجابة لمجموعة من المطالب الاجتماعية لفائدة لسكان، وهي المطالب نفسها التي عبرت عنها، بعد الإصلاحات المقترحة من قبل الجنرال غابرييل بيو (Gabrielle Pauux) سنة 1945.⁴¹

وساهمت العناصر اليهودية المغربية الشيوعية المنضوية تحت لواء الحزب خلال هذه الفترة في النقاش الدائر حول هذه الإصلاحات، إذ نشرت صحيفة ليسبور (*L'Espoir*) في عددها الصادر يوم 14 أكتوبر 1945، مقالا مطولا بقلم جرمان عياش تحت عنوان: "الاستفتاء باب مفتوح للديكتاتورية"،⁴² انتقد فيه بحدة طبيعة الاستفتاء واعتبره مجرد مناورة من السلطات الفرنسية لتحقيق مزيد من الامتيازات، وحرمان السكان من حقوقهم الشرعية، لاسيما وأن اختيار القيادات ارتكز على عناصر غير مؤهلة عمليا لخدمة قضاياهم العامة، وأصبح أداة لتكريس امتيازات جديدة لصالح المعمرين وإقصاء السكان المحليين. أي أن الاستفتاء في نظره، قد يفتح المجال أمام الانتهازين لامتلاك مزيد من الثروات على حساب فئة عريضة من السكان تعاني كثيرا من الفقر والحاجة.

40. عرفت منطقة تادلة نشاطا مكثفا للشيوعيين جعل بعضهم عرضة للاعتقال، البيان، ع. 3140، الخميس 17 غشت (2000): 6.

41. Oved, *La gauche française*, 237.

42. "Le Référendum porte ouverte à la dictature," *L'Espoir*, n°34, 14 octobre (1945): 1.

وجاءت وجهات نظر جرمان عياش منسجمة مع ما عبرت عنه بقية القيادات الشيوعية الفرنسية أو المسلمة، إذ نشر علي يعبته، في صفحات العدد نفسه، مقالا مكتملا لما كتبه زميله، فكشف عن مجموعة من التناقضات الاجتماعية يعيشها السكان المحليون، وتحتاج في رأيه إلى إصلاحات جذرية وحقيقية، وليس إلى مجرد تغييرات شكلية على مستوى أجهزة التسيير. وحتى يتسنى تأصيل أفكار الشيوعيين، كان لا بد من عقد مؤتمر وطني كفيل بالاستجابة للشرط الموضوعية للمرحلة.

3. الحضور اليهودي المغربي في الحزب بعد المؤتمر الوطني

- دواعي عقد المؤتمر ومقرراته

بانتهاؤ الحرب العالمية الثانية، دخل المغرب مرحلة جديدة من تاريخه السياسي، إذ لم يعد خاضعا لتحكم سياسي فرنسي محض، بل أصبح موضوعا لضغوطات قوى جديدة تتنافس فيما بينها لتحقيق تقدم أكبر بالمنطقة،⁴³ فانعكس هذا المعطى الجديد على سياسة الحزب الشيوعي المغربي الذي أصبح مجبرا على تحديد موقفه من الوضع وما يرتبط به من قضايا.⁴⁴ وبناء عليه، عارض الحزب مشروع مارشال (Plan Marshall)، وهو بذلك إنما يعلن عن موقفه السياسي من الولايات المتحدة الأمريكية كدولة بدأت تحقق نتائج إيجابية على مستوى التوغل في المنطقة وربط علاقات جديدة مع زعامات سياسية ومنظمات يهودية موجودة بالمغرب.⁴⁵

وارتأت القيادات الشيوعية في المغرب ضرورة عقد مؤتمر وطني للحزب، يكون "[...] الهدف منه إشراك المندوبين في تدارس المشاكل التي تعاني منها البلاد بكل حرية واستقلالية [...]؛"⁴⁶ ويمكن الأعضاء من وضع خط سياسي يلتزم الحزب بتفعيله. وبهذا حُدد تاريخ انعقاد أعمال المؤتمر في مستهل شهر غشت من

43. أصبح المغرب في هذه الفترة، بحكم إدماجه من قبل الحكومة الفرنسية ضمن مخططات الحلف الأطلسي، موضع ضغوط ومساومات شتى، أثرت بوضوح على وضعه السياسي، عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 111.

44. Mezzella, *Le parti communiste marocain*, 20.

45. Oved, *La gauche française*, 264.

46. المؤتمر الأول للحزب الشيوعي، (منشورات الحزب، 1946)، 3.

سنة 1946،⁴⁷ وجاء برنامج عمله شموليا ويسعى إلى التوفيق والربط بين النظر في القضايا المحلية والدولية على حد سواء.

واتضح بأن المؤتمر قد شكل بحق فرصة سانحة أمام الأعضاء الشيوعيين للتعرف عن قرب على طبيعة توجهات الحزب العامة، ومكنهم من فهم آراء القيادات واستيعاب وجهات نظرها تجاه القضايا المطروحة.⁴⁸ ويبدو أن نداء القيادات الشيوعية قد حظي بإقبال كبير من قبل المناضلين المنضوين إلى الحزب، إذ سجل المؤتمر حضور 312 مندوبا من اليهود والمسلمين الوافدين من مختلف المناطق، وسجل حضورا وازنا لعناصر بارزة من الحزب الشيوعي الفرنسي، فضلا عن مشاركة قيادات نشيطة داخل الحزب الشيوعي الجزائري في أعمال المؤتمر.⁴⁹

وزاوجت اتهامات المؤتمرين بين الحرص على الخوض المتوازن في القضايا المحلية والدولية. وعلى المستوى المحلي، جدد الحزب تأكيده على ضرورة محاربة الفقر والتصدي لجميع أساليب الاستغلال الاقتصادي والسياسي للسكان، والتي كانت من وجهة نظره، سببا في انتشار المجاعة والأوبئة. وتمت بالمناسبة نفسها الدعوة إلى ضرورة إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود المغاربة في الملاحات والمناطق النائية، تأكيدا بذلك على ضرورة الاهتمام بأحوال جميع المغاربة ومصيرهم دون تمييز أو حيف، بل دعوا إلى تحقيق وحدة بين المسلمين واليهود والفرنسيين، كما اعتبر المؤتمر أن الوضع العام لا يقبل مزيدا من التأخير، مما يستدعي التعجيل بالمبادرة إلى إصلاحه تفاديا لوقوع أزمة حقيقية بالبلاد.⁵⁰

وعلى المستوى الخارجي، أعاد الحزب صياغة نظريته المعادية للحركة النازية والدعاية الفاشية على حد سواء؛ إذ ربط بين نشاط العملاء النازيين في المغرب والوضع الاقتصادي المتدهور فيه، كما اعتبر تجربة حكم فيشي دليلا قاطعا على سلبية الحركة النازية لاعتمادها سياسة الإقصاء والميز العرقي، ثم حث مناضليه

47. انعقد المؤتمر أيام خامس وسادس وسابع غشت بالعاصمة الصناعية والتجارية الدار البيضاء بقاعة لفايط، المؤتمر الأول للحزب الشيوعي، 3، استهل المؤتمر بتلاوة مازيلا للتقرير السياسي، المؤتمر الأول للحزب الشيوعي، 7.

48. Oved, *La gauche française*, 254.

49. عياش: الحركة النقابية، ج.2، 86، عرف المؤتمر بحضور إدمون عمران المالح بصفته ممثلا عن الشبيبة الشيوعية، انظر: المؤتمر الأول للحزب الشيوعي، 4.

50. Mezzella, *Le parti communiste*, 2.

على ضرورة التصدي لها بالاعتماد على تجميع القوى وتحالف الطرفين المسلم واليهودي تفاديا للسقوط في فخ التفرقة والعزلة. وأولى المؤتمر اهتمامه بتوجيه الإدانة القوية لسياسة الجنرال فرانكو، فطالب الحاضرون باتخاذ مجموعة من الإجراءات الاقتصادية المستعجلة الكفيلة بخنق تزويد إسبانيا الفرنكاوية بالموارد المالية. وفي المقابل دعا الحزب مناضليه إلى ضرورة تقديم الدعم لفائدة الجمهوريين الإسبان بتمكينهم من العون المعنوي والمادي، وحماية مناضليهم المشغلين بالدود على مبادئ مماثلة يؤمن بها الحزب ويضعها ضمن أولوياته.

- مقررات المؤتمر وإعادة الثقة إلى اليهود المغاربة

لم يصف الحزب الشيوعي المغربي في مؤتمره المنعقد سنة 1946 شيئا جديدا يستحق الذكر مقارنة بما كان مسطرا في خطه السياسي من قبل، ومع ذلك فقد أفلح في صياغة أفكاره بشكل صريح وعلني ومنظم، كما مكن الممثلين المغاربة من فرصة غير مسبوقة للتعبير عن مواقفهم من أبرز القضايا، بل وأتاح إمكانية انتخابهم كأعضاء قياديين داخل الحزب، وهذا فضلا عن تهيئ الظروف العملية لتحويل الحزب على مستوى الممارسة، من فرع تابع للحزب الشيوعي الفرنسي إلى حزب مغربي قائم الذات.⁵¹

ومن أهم ما تمخض عن أشغال المؤتمر إعادته الثقة إلى نفوس معظم اليهود المغاربة، وخاصة لدى الفئات الاجتماعية العريضة المقيمة بالبوادي والمناطق النائية التي حظيت باهتمام غير معهود، وذلك في وقت أفلحت بعض قيادات الحركة الصهيونية في تحقيق درجات من التقدم على درب تحويل أنظار هذه الفئات إلى قضايا خارجية لا تمت بصلة إلى أحوال البلاد المغربية.⁵²

كما ضمت الحركة الصهيونية بين فصائلها عناصر تساند التوجه الشيوعي في شكله العام، مما جعلها تعيد صياغة ورفع شعارات شبيهة في الغالب بما رفعته العناصر الشيوعية المغربية. وقد شكل تنديد الحزب الشيوعي المغربي بسياستي

51. اعتبر عبد الله العياشي أن الحزب عرف تحولا تاريخيا بفضل ما جاء في أعمال المؤتمر، انظر: البيان، ع. 3161، الأربعاء 6 شتنبر (2000): 4، كما تميز المؤتمر بحضور مكثف للمغاربة المسلمين واليهود
Bouaziz, *Le mouvement national*, 149.

52. Maxime Rodinson, *Peuple juif ou problème juif?* (Paris: Éditions La Découverte, 1997), 43.

فيشي وفرانكو معطى إيجابيا لكسب ثقة هؤلاء اليهود، وهذا فضلا عن دعوته العناصر المسلمة إلى ضرورة تحقيق الوحدة مع اليهود وتشكيل جبهة مترابطة الصفوف في وجه المد النازي والفاشي.

وعلى الرغم من خلافات ظهرت بين العناصر المشاركة في المؤتمر تمثلت في انقسام الآراء إلى اتجاهين متباينين، إذ رفع أولهما شعار استقلال المغرب بقيادة الكاتب الأول للحزب ميشيل مازيلا (Michel Mazzela)، وعلي يعتة وعبد السلام بورقية، بينما اقتصر دعاة الاتجاه الثاني على متابعة الإصلاحات، فإن الطرفان قد أجمعا على ضرورة تحقيق الوحدة بين كل الأطراف بغية التغلب على المشاكل الكبرى، ويتعلق الأمر أساسا بما يعانيه السكان المحليون من مختلف أشكال الفقر والبطالة والحييف الاجتماعي.⁵³

وفي واقع الأمر، تمكن المؤتمر من تجديد ما افتقده الحزب من حيوية إبان سنوات الحرب، إذ تمكنت القيادات الشيوعية من إصدار جريدة ليسبوار (*L'Espoir*) في عددها الستين في الرابع عشر من شهر أبريل بصفتها قد صارت تمثل "لسان حال الحزب الشيوعي المغربي" بدلا من الاكتفاء بعبارة "الحزب الشيوعي للمغرب"،⁵⁴ كما عبرت الأطراف نفسها وفي الوقت ذاته عن رغبتها في إصدار صحيفة باللغة العربية، أملا في تحقيق تواصل أوسع مع المغاربة من غير قراء اللغة الفرنسية.

وعلى مستوى بنية الحزب، أولت القيادات الشيوعية اهتماما ماثلا لتقوية هيكله وتعزيزها، فلم تعد تعتمد نظام الخلايا، كما كان عليه الأمر في السابق، بل عوضته بنظام الوداديات،⁵⁵ وانحصرت مهمتها في بذل الجهود الرامية إلى استقطاب القرويين المتعاطفين مع الحزب الشيوعي المغربي، وفي ذلك توجه واضح لكسب أعضاء جدد بنسبة مهمة من اليهود المغاربة إلى جانب المسلمين. وعمل الحزب أيضا خلال المرحلة ذاتها إنشاء منظمة للشبيبة الشيوعية تحمل اسم الشبيبة المغربية، بقيادة سياسية يهودية مغربية، تمثلت في شخص إدمون عمران المالح، فحددت

53. انظر ما جاء به عبد الله العياشي في البيان، ع. 3161، الأربعاء 6 شتنبر (2000): 4.

54. عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 87.

55. يرى ريزيت أن عمل الوداديات كان مرنا ومتناسبا مع الظروف الخاصة التي يعيشها الحزب، ريزيت: الأحزاب

السياسية، 302.

مهمتها الأساسية في محاربة الأمية بين أوساط الشباب المغربي، كما نظمت سلسلة من الأنشطة الرياضية الرامية إلى خلق الانسجام بين مختلف مكونات الشباب المسلمين واليهود على حد سواء.

وأما في توسيع شبكته الإعلامية، بغية تعريف أكبر عدد من السكان بالمبادئ الأساسية التي يدافع عنها الحزب، سارعت قياداته إلى تنظيم حملات توعوية وتواصلية، وذلك بعقد مجموعة من اللقاءات الجماهيرية استهدفت الشباب بمختلف المدن المغربية.⁵⁶ كما جندت للغرض نفسه عددا لا يستهان به من الأطر الحزبية، سواء من داخل التنظيمات الشيوعية، كما هو شأن النجدة الشعبية المغربية واتحاد نساء المغرب، أو من خارجها بالاعتماد على عدد من المتطوعين والمتعاطفين مع الحزب.⁵⁷

وقد أعطى المؤتمر الأول للحزب الشيوعي المغربي متنفسا جديدا للعناصر المغربية المنتمية إليه، إذ شكل فرصة غير مسبوقه سمحت لها باتخاذ مبادرات للتعبير عن مواقفها من أبرز القضايا المطروحة، وذلك على الرغم من وجود اختلافات تظهر بين الفينة والأخرى بين الأعضاء الفرنسيين والمغاربة،⁵⁸ ثم فسح المؤتمر المجال أمام إمكانية خلق تواصل بين الحزب الشيوعي وبقية الأحزاب المغربية الأخرى، خاصة منها حزب الاستقلال، بغية التفكير في الخطوات الإجرائية الرامية إلى "[...] تحقيق مشروع الوحدة وإدراك الانعتاق من الاستعمار الفرنسي [...]"،⁵⁹ وهو المشروع الذي سبق وأن دعت إليه الزعامات المغربية المشاركة في عمل الحزب منذ مراحل التأسيس.

56. بعد المؤتمر مباشرة، قام علي يعنة والمهدي لميني بجولات عبر كثير من البوادي المغربية، بهدف الاتصال مع أكبر عدد من الفلاحين، فقد تم الاتصال مثلا أثناء تجمع في بني ملال بحوالي 5000 فلاح، عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 95. كان هدف الأطر الشيوعية من هذه الجولات، أن يكون انخراط الأعضاء في الحزب مبنيا على "اختيار عقلائي"، وهي كما يرى ريزيت خاصة من خصائص الحزب الشيوعي يختلف فيها عن الأسلوب المعمول به في استقطاب انخراطات الأعضاء الجدد في حزب الاستقلال، نفسه، 315-316، حول شروط ومهمة المناضل داخل الحزب، عياش، الحركة النقابية، ج. 2، 311.

57. شهادة عبد الله العياشي في البيان، ع. 3145، الاثنين 21 غشت (2000): 6.

58. حول خلاف بعض العناصر المغربية والفرنسية داخل الحزب انظر:

Oved, *La gauche française*, 256.

59. سبق وأن جرت اتصالات بين قادة الحزب الشيوعي وقادة حزب الاستقلال تم فيها تقديم اقتراح يقضي بتحديد برنامج يتم الدفاع عنه بصورة مشتركة، وقد تقدم به كل من عبد السلام بورقية وميشال مازيلا وعلي يعنة إلى أحمد بلافريج، عياش، الحركة النقابية ج. 2، 95.

ولقد حظي هذا التوجه الجديد باهتمام السكان المحليين من مسلمين ويهود، ولم يعد الأمر مرتبطاً على الإطلاق بحزب شيوعي فرنسي موجود بالمغرب، بل بحزب مغربي ذو توجه شيوعي، شعاره الأساس الدفاع عن الفئات الاجتماعية الضعيفة وتحريها من الاستغلال الرأسمالي الأجنبي، بل وتوجيه الدعوة الصريحة لتحقيق الاستقلال، وهو المطلب الذي وقع الإعلان عنه بعد انعقاد الدورة الأولى للجنة المركزية للحزب، فقد صادقت هذه اللجنة على شعار الاستقلال الوطني والوحدة الترابية، وأضفت على محتواه طابعا سياسيا واقتصاديا وديمقراطيا واضح المعالم.⁶⁰

تقوى موقع الحزب بعد الاستقبال الذي حظي به من قبل المقيم العام إريك لابون (Erik Labonne)، في 14 يونيو 1946، وتشكل الوفد من ثلاثة مغاربة وثلاثة فرنسيين، مما يدل على مكانة القيادات المغربية داخل الحزب، كما شكل اللقاء فرصة أمام المناضلين للتعبير عن موقف الحزب من الإجراءات الإصلاحية التي عبر عنها المقيم العام في خطاب ألقاه يوم 22 يوليوز من السنة نفسها. واستقبل السلطان يوم 26 غشت وفدا من الحزب الشيوعي يتكون من علي يعته وأحمد بن مهدي وميشال مازيلا [...] تم خلاله مناقشة الوضعية السياسية للمغرب، كما تم فيه التأكيد على الطابع الوطني والمناهض للإمبريالية الذي يميز الحزب الشيوعي المغربي، فهو حزب يناضل من أجل حرية الشعب المغربي وسعادته [...]”⁶¹.

أصبح الحزب الشيوعي المغربي في ظل المناخ السياسي الجديد، أكثر تحمرا وانفتاحا على مناقشة قضايا كبرى أثارت اهتمام مختلف الفعاليات السياسية المحلية، كما عرف الحزب نشاطا مكثفا للمناضلين المغاربة من المسلمين واليهود على حد سواء. وبناء عليه، كان طبيعيا أن تشارك هذه العناصر في تفعيل النقاش وفق المجرى الجديد لحركة الأحداث السياسية بعد مرحلة المطالبة بالاستقلال، وتساهم في تطعيم مطالب الحزب التي وقع التأكيد فيها على ضرورة إجراء

60. لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي المغربي، مطبوعات البيان، 18،، عياش، الحركة النقابية، ج.2، 93.

61. حول بلاغ الحزب الصادر بعد اللقاء، انظر عياش، الحركة النقابية، ج.2، 94؛ ريزيت، الأحزاب السياسية، 181؛ البيان، ع.3161، الأربعاء 6 شتنبر (2000): 4. وأثار هذا اللقاء انفعال الإقامة العامة وبعض أعضاء حزب الاستقلال، وانظر أيضا:

Oved, *La gauche française*, 257.

انتخابات نزيهة وبذل جهود حقيقية لمحاربة الأمية وتحقيق إصلاح عميق للعدل وإعطاء الحريات الديمقراطية والنقابية وتحقيق المساواة واعتبار اللغة العربية لغة رسمية بالبلاد.⁶²

كما جدد الحزب بواسطة عناصره المغربية مطلبه في تحقيق الوحدة مع الأحزاب الوطنية الأخرى،⁶³ إذ وجهت قيادته برقيات إلى زعماء كل من حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال، دعاهم فيها إلى ضرورة تجميع القوى من أجل النهوض بالبلاد وتخليصها من السيطرة الإمبريالية. فضلا عن ذلك، عبر الحزب عن تضامنه مع الوطنيين عقب الأحداث الدامية التي عرفتها مدينة الدار البيضاء في السابع من شهر أبريل سنة 1947، كما وضع مجموعة من التوصيات من بينها المطالبة بفضح الممارسات التي ارتكبت في حق المغاربة ومحكمة المسؤولين وتكوين لجنة لتقصي الحقائق.⁶⁴

وشكلت جميع هذه المعطيات مؤشرات تؤكد التحول الذي أصبح يعرفه الحزب الشيوعي المغربي، وتبرز أيضا مدى أهمية مشاركة المغاربة في تحديد خطواته السياسية وتوجهاته العامة، بشكل يوحد بين عناصره المسلمة واليهودية المؤمنة بخطه السياسي.⁶⁵ وانعكس الانسجام الذي طبع موقفه من القضايا المحلية بشكل إيجابي على موقفه من القضايا الدولية، إذ جددت القيادات المغربية التابعة للحزب معارضتها لسياسة فرانكو (Franco)،⁶⁶ ودعت في المقابل السكان إلى التضامن مع الجمهوريين الإسبان⁶⁷ باعتبارهم ضحايا السياسة الفاشية التي بدأت تنتشر في المنطقة الفرنسية، مما زاد من وجهة نظر الزعماء الشيوعيين في خطورتها على السكان

62. Ali Yata, "Parlée par 8 millions de Marocains la langue arabe doit être au Maroc la langue officielle," *L'Espoir*, n° 101, dimanche 26 janvier (1947): 1-2.

63. اقترح علي بعتة على بقية الأحزاب الوطنية مشروع الوحدة اقتداء بالتجربة المصرية التي أبانت عن نجاحها في تحقيق ذلك، انظر:

Ali Yata, "Les événements d'Egypte renforcent notre conviction que le Front Marocain est nécessaire," *L'Espoir*, n° 132, 7 septembre (1947): 1-3.

64. حول بيان الحزب عقب أحداث 7 أبريل سنة 1947 انظر :

"Procès verbal du bureau politique du Parti Communiste," *L'Espoir*, n° 114, 4 mai (1947): 1.

65. ساهم جرمان عياش بفعالية في النقاش المتعلق بالقضايا الوطنية المرتبطة بالحزب، إذ عبر عن ذلك بنشره مجموعة مقالات في صحيفة الحزب، انظر أعداد كثيرة من جريدة ليسيوار (*L'Espoir*) برسم سنة 1947.

66. Germain Ayache, "Face au danger fasciste," *L'Espoir*, n° 105, 2 mars (1947): 3.

67. "Ce que cache la Monarchie de Franco, c'est l'intérêt du peuple Marocain d'aider le peuple Espagnol à se débarrasser de son Tyran," *L'Espoir*, n° 114, 4 mai (1947): 2.

المحليين. كما انتقدت مجدداً وبحدة مشروع مارشال واعتبرته إحدى وسائل التغلغل الاستعماري،⁶⁸ فأصدرت صحيفة الحزب عدة مقالات عبر فيها أصحابها عن موقفهم المعارض للسياسة الأمريكية بالمنطقة، وطالبوا ببقية العناصر الوطنية بتفادي اللجوء إليها. أما على الصعيد العربي، فقد انتقد الحزب سياسة الجامعة العربية فاعتبر أنها لا تمثل مطمح الشعوب العربية المحتلة، وطالب بضرورة إعادة النظر في طبيعة عملها والوسائل المتبعة في تناولها للقضايا المحلية.⁶⁹

4. دور النخبة اليهودية والمسلمة في النقاشات السياسية

- اليهود المغاربة وانتقاد السياسات الاستعمارية والعنصرية

يصح القول "إن الحزب الشيوعي المغربي كان يشكل بالنظر إلى تعايش مسلمين ويهود ومسيحيين بين صفوفه نوعاً من المجال النموذجي للتعاون السياسي بين مختلف الجماعات الدينية."⁷⁰ وفي خضم الأجواء السياسية للحزب بعد الخلاصات الأساسية التي تمخضت عن مؤتمره الأول، برز الدور الواضح للنخبة اليهودية المغربية في الدفع بالنقاش السياسي والمساهمة الفعالة في معالجة القضايا الحية التي شكلت العمود الفقري لخطابات الحزب. وفي هذا السياق، ساهم جرمان عياش بقوة في إغناء محتويات ليسبور (L'Espoir)، الناطقة بلسان الحزب، وذلك بنشره عدداً من المقالات السياسية التي جمعت في طياتها بين الاهتمام بالقضايا المحلية والدولية، كما اتسمت مضامينها بالتنوع والغزارة والتحليل السياسي العميق والنقد المبني على المعرفة الواسعة بالقضايا الدولية المواكبة للفترة. وفي واقع الأمر، شكل موضوع السياسة الفرنسية حجر الزاوية في مقالات جرمان عياش، إذ تناولها من عدة جوانب خاصة انتقاده لسياسة بعض الأحزاب الفرنسية المعارضة، وخاصة المعارضة منها لمسألة الاتحاد الفرنسي، وهو الأمر الذي

68. انتقد جرمان عياش مشروع مارشال والسياسة الأمريكية بشمال إفريقيا، واعتبرها مجرد وسيلة استعمارية من نوع

جديد:

Germain Ayache, "Il est plus facile d'acheter des Gouvernements que de réduire un peuple," *L'Espoir*, n°142, 15 novembre (1947):2.

69. Ali Yata, "C'est au Maroc que notre peuple doit lutter pour sa libération," *L'Espoir*, n°138, 19 octobre (1947): 1.

70. كشف محمد كنيب في دراسته المتعلقة باليهود المغاربة عن نوع من الانسجام الذي طبع العمل داخل الحزب الشيوعي المغربي ابتداءً من سنة 1946، كنيب، يهود المغرب، 267.

تجدد للدفاع عنه بعض القادة الشيوعيين المغاربة ممن أدانوا الأحزاب الفرنسية واعتبروها قاصرة عن فهم محتوى التطورات السياسية الجارية على الساحة الدولية، والتي أخذت تعرف نوعاً من الانفتاح على إشراك الشعوب المستعمرة في العمل السياسي وإعطائها الفرصة لإبراز قدراتها وإمكانياتها في التسيير والاندماج السريع. وهذا فضلاً عن اعتبارها هذه الأحزاب مجرد وسيلة طيعة في أيادي تحالف التروستات (Trusts) الفرنسية والأمريكية.⁷¹

أما عن السياسة الإسبانية، فقد عمل جرمان عياش على إبراز خطورة الوضع الناتج عن تحالف عناصر الجيش الإسباني على الصعيد الخارجي مع الفاشية، وأكد على الدور الإيجابي الذي يلعبه الحزب الشيوعي الإسباني في فتح الملفات الساخنة وكشفه للإسبانيين خطورة وحقيقة ما يحدث بالبلاد. ومن ثم أكد جرمان عياش على سلبية الأنظمة الفاشية والنازية، فأوضح خطورتها على الوضع السياسي بشمال إفريقيا، دون أن يغفل في الآن نفسه انتقاده لطبيعة الصحافة الاستعمارية التي كشف عن خطورتها واعتبرها من أبشع أدوات التغلغل الاستعماري. وبهذا يمكن القول بنجاحه في إثارة الانتباه إلى درجة خطورتها على مستوى المناطق الشمالية بالمغرب على الخصوص.⁷²

ومن بين العناصر المثقفة اليهودية المغربية التي ساهمت بفعالية، إلى جانب جرمان عياش، في إغناء الرصيد الصحفي والإعلامي للحزب، نذكر إدمون عمران المالح الذي انشغل بإعداد تقارير مفصلة عن نضال الطبقة العمالية المغربية وما تخوضه من إضرابات واسعة بالمعامل الفرنسية. كما نشط في إعداد مواد الصحافة على الرغم من الصعوبات التي واجهته جراء المضايقات المستمرة للسلطات الفرنسية وبعض الإداريين ممن عملوا جاهدين على إحباط تجربة الشيوعيين المغاربة.⁷³

ولم تقتصر مساهمة العناصر المثقفة اليهودية في هذه المرحلة داخل الحزب الشيوعي المغربي على تحرير تحليلات سياسية قي صحافة الحزب، بل عمدت

71. Germain Ayache, "Un mauvais parts (sic)," *L'Espoir*, n°112, 20 avril (1947):3.

72. Germain Ayache, "Le Fascisme est aux aguets," *L'Espoir*, n°123, 6 juillet (1947): 2.

73. Edmon Amran El- Maleh, "Avec les Marocains de Paris, solidarité totale des ouvriers marocains et français," *L'Espoir*, n°118, 1 juin (1947): 1.

أيضا إلى المساهمة الميدانية في أنشطة مختلف تتولى أمر تنظيمها بصفة دورية الفروع والمراكز التابعة له، كما هو حال التجمع الذي دعا الحزب إلى تنظيمه يوم تاسع نونبر سنة 1947 تخليدا لذكرى الثورة الروسية بالمركز الإسباني، فأشرف على إعداد اللقاء كل من جرمان عياش وعلي يعته وأريسنينو بن ياس (Arsénio Benayas) الكاتب العام لفرع الحزب الشيوعي الإسباني بالمغرب. وبهذه المناسبة تمت الدعوة إلى ضرورة تحقيق الوحدة والتصدي لجميع أنواع المد الاستعماري الذي تتعرض له الشعوب المستضعفة، ومنها شعوب شمال إفريقيا.

أما على مستوى الهياكل التنظيمية للحزب، فقد دأبت العناصر اليهودية على الممارسة الكاملة لحقوقها السياسية داخله، إذ دعت لجنته السياسية المغاربة إلى التصويت على ممثليه في انتخابات مكتب الحزب يوم السابع من شهر دجنبر من سنة 1947، وعرفت ترشيح عدد من اليهود المغاربة.⁷⁴ كما اضطلعت هذه العناصر بدور مهم في التسيير والتأطير الحزبيين، بل عبرت عن تضامنها الصريح مع ضحايا أحداث السابع من شهر أبريل بمساهمتهما في الاكتتاب لصالح أسر الضحايا.⁷⁵

- التصدي لسياسة الحركة الصهيونية لتهجير اليهود

لعبت العناصر المسلمة المنتمة للحزب من جانبها دورا مهما في رصد أوضاع اليهود المغاربة ودراستها ومناقشة أهم القضايا المرتبطة بهم، وذلك وفقا للأهمية نفسها التي ساهمت بها العناصر اليهودية المغربية داخل الحزب الشيوعي المغربي في تحليل أبرز القضايا المطروحة وإعطاء درجة من الاستقلال الذاتي للحزب عن نظيره الفرنسي. وبناء عليه، شكلت مسألة تهجير اليهود التي بدأت تتطور تدريجيا، أولى هذه الاهتمامات، إذ عبرت قيادات الحزب عبر صحيفتها عن رفضها القوي

74. حول لائحة المرشحين الشيوعيين انظر ما يلي:

“Le 7 Décembre, Votez pour les candidats des listes du Parti Communiste Marocain,” *L’Espoir*, n° 144, 29 novembre (1947), 1.

75. من الأسماء التي ورد ذكرها وساهمت في الاكتتاب، نجد كل من أيسرول حاييم الذي ساهم بمبلغ قدره 50 فرنك، وربوط دافيد ساهم بمبلغ قدره 100 فرنك، وليفي موريس ساهم بمبلغ قدره 20 فرنك، وليفي مايير بمبلغ قدره 30 فرنك، وعسو جوزيف بمبلغ قدره 500 فرنك، وإدمون عمران المالح بمبلغ قدره 500 فرنك. وساهمت في الاكتتاب العناصر المسلمة جنبا إلى جنب مع اليهود المغاربة، انظر لائحة المساهمين في:

“Souscrivez en faveur des victimes du 7 Avril,” *L’Espoir*, n° 112, 20 avril (1947):1-2.

لتهجير اليهود المغاربة،⁷⁶ بل اعتبرت عملية التهجير مرفوضة مسبقاً من قِبَل اليهود أنفسهم، باعتبار أن لا حاجة لديهم في تغيير وطنهم الأم ما داموا في مأمن من الخطر النازي والفاشي من جهة، كما أن المغرب لا يشكل حالة شاذة عن بقية الدول الديمقراطية التي يعيش فيها اليهود بسلا من جهة أخرى. وهذا التصور نفسه هو الذي عبر عنه الحزب الشيوعي الفلسطيني.⁷⁷

كما أبدت العناصر الشيوعية المغربية تحوفاً من نشاط بعض أعضاء الحركة الصهيونية بالمغرب، بعد أن كثف هؤلاء محاولاتهم الرامية إلى ربط اتصالات مباشرة باليهود، مع السعي نحو توجيه أنظارهم صوب قضايا لا تمت إليهم بصلة. كما اهتمت العناصر الشيوعية بشكل بارز بأوضاع اليهود داخل الملاحات، وسعت إلى استقطابهم لخوض العمل السياسي، أملاً في الخروج من العزلة المحيطة ببعض الفئات منهم، كما فتحت أمامهم أبواب الانخراط والمساهمة في نشاط الحزب بشكل يتوافق مع مؤهلاتهم الفكرية والسياسية، شأنهم في ذلك شأن بقية العناصر المسلمة.

لم يعد الحزب الشيوعي المغربي يعمل وفقاً للشكل الذي كان عليه في مراحل الأولى، بل أصبح يسير التطور الذي بدأت تعرفه الأحداث السياسية، وهو تطور أخذ أهميته نظراً للمركز الذي بدأت تحتله العناصر المغربية داخله وأمام طبيعة القضايا السياسية التي أصبح يتجرأ على طرحها، فأضحى الحزب قادراً على الخوض في قضايا سياسية أوسع وبترويج خطابات سياسية أكثر دلالة من السابق.

أما على مستوى التنظيم والتأطير، فقد شرع الحزب ابتداءً من سنة 1948 في تفعيل تكوين المناضلين في صفوف الطلاب المغاربة، إيماناً بقدرتهم على تشكيل النواة التي ستساهم في تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب.⁷⁸

76. "Les mensonges pro-anglais des prétendus amis des juifs," *L'Espoir*, n°137, 12 octobre (1947): 2: "[...] y aurait-il donc "un problème juif" au Maroc et les quelques deux cent mille juifs qui l'habitent voudraient-ils le quitter? Pas du tout. Les israélites y vivent en parfaite concorde avec les autres Marocains. Ils ont ici leurs familles, leurs biens, leurs habitudes [...], Les aspirations des juifs Marocains à la démocratie, à la liberté, au bien-être, sont communes à toutes les populations Marocains, leurs aspirations nationales ne se distinguent pas de celles des autres Marocains [...]."

77. وضع صاحب المقال مقارنة بين نظرة الحزب الشيوعي الفلسطيني لليهود المستقرين بفلسطين باعتبارهم مواطنين من الواجب تعايشهم مع المسلمين هناك، وبين وضع اليهود المغاربة ذوي الروابط العميقة بالمغرب، انظر:

"Les mensonges pro-anglais des prétendus amis des juifs," *L'Espoir*, n°137, 12 octobre 1947.

78. Bourquia, *Essais sur l'histoire du parti communiste*, 16.

وخلال هذه الفترة، أصبحت قيادة الحزب في غالبيتها من الأعضاء المغاربة، حيث ضمت اللجنة المركزية، خلال سنة 1948، ثلاثة أعضاء من الأوروبيين فقط، والبقية من المغاربة اليهود والمسلمين.⁷⁹ وعرف عدد المنخرطين أيضا ارتفاعاً ملحوظاً، إذ قدر بحوالي 6000 منخرط، من بينهم 2500 أوروبي، و3000 مسلم و500 يهودي.⁸⁰

- موقع اليهود بعد احتدام صراع الحزب مع الإقامة العامة

أعلنت الإدارة الفرنسية عن نهج سياسة متشددة أمام استمرار الحزب الشيوعي المغربي في تطوير آلياته السياسية وتعزيزها، خاصة وأن مكوناته لم تكن تفصل في عملها السياسي بين النضال الحزبي ونشاط أعضائه داخل التنظيمات النقابية والتي دخلت بدورها منعطفا كبيرا على مستوى المطالب والتحديات تجاه إدارة الحماية الفرنسية.

والواقع أن الحزب الشيوعي المغربي أصبح مجبرا على الرفع من وتيرة المطالب السياسية لتحقيق درجة من الإقناع في الأوساط المغربية المسلمة واليهودية، ولصد الانتقادات الموجهة إليه من بقية الأحزاب السياسية المغربية. وفي محاولة لإثبات مصداقيته، لم يجد أعضاؤه بدا من تغيير لهجتهم تجاه الإدارة الفرنسية،⁸¹ ولم تعد الانتقادات تقتصر على المطالبة بإصلاح أجهزة الإدارة وطرق عمل موظفيها فحسب، بل رامت الكشف عن العيوب الداخلية لنظام الحماية برمته، فوصفته بالنظام المرفوض من قبل المغاربة في شكله ومنهجية تطبيقه، بل اعتبرت مسألة التقسيم الإداري بين المنطقة الشمالية والجنوبية، مجرد أداة من أدوات الاستعمار المسخرة بالمنطقة.⁸²

79. ريزيت، الأحزاب السياسية، 317.

80. نفسه، 95؛ كنيب، يهود المغرب، 339.

81. كشف جرمان عياش عن تورط موظفين فرنسيين كبار في الحصول على رشاوى والمتاجرة في السوق السوداء، انظر:

Germain Ayache, "Le Chemin de la Corruption," *L'Espoir*, n° 162., 15 mai (1948): 3.

82. اعتبر الحزب أن الحدود وهمية وأن فتحها باتفاق مع فرانكو ليس إلا تأكيد على استمرار الوصاية الاستعمارية على الأراضي المغربية، انظر:

"Patriotes et démocrates condamnent la reprise des relations avec Franco," *L'Espoir*, n° 155., 14 février (1948): 1.

وكان للعناصر اليهودية المغربية المتمتية للحزب الشيوعي المغربي دور بارز في بلورة الأفكار الجديدة التي عبر عنها الحزب، إذ استمر جرمان عياش في انتقاداته اللاذعة للسياسة الداخلية الفرنسية،⁸³ كما استمر في تقديم أرقام تؤكد تراجع الاقتصاد الفرنسي وتعبير عن فشل سياسة الحكومة الفرنسية وابتعادها عن تحقيق مطالب الشعب الفرنسي. وكان الهدف من إذكاء جرمان عياش لانتقاداته المتلاحقة هو إبراز الضعف الداخلي للسياسة الفرنسية، والتأكيد بالتالي ضمينا على إخفاق سياستها الخارجية في المستعمرات بما في ذلك المغرب. وذهب جرمان عياش إلى أبعد من ذلك في مقالاته التي دأب جاهدا على تزويد جريدة الحزب بموادها الخصب، فاعتبر السياسة الفرنسية ماثلة في شكلها ومضمونها للسياسة الأمريكية، وأنها لا تحقق إلا أهداف الرأسمالية الاحتكارية.⁸⁴

ولم تكن كتابات جرمان عياش الوحيدة من نوعها في صحافة الحزب الشيوعي المغربي، فقد فتحت الصحيفة أبوابها لعدد من اليهود المغاربة الموجودين في عدة مناطق، فكان أبرزهم إدمون عمران المالح الذي وقف هو أيضا على جملة من القضايا الشائكة التي شكلت حجر الزاوية في سياسة انتقاد الحزب الشيوعي المغربي للسياسة الاستعمارية الفرنسية. وإذا كان جرمان عياش قد ركز في تحليلاته على معالجة مواضيع القضايا الدولية ذات التأثير المباشر على الوضع المحلي، فإن إدمون عمران المالح قد اهتم بدراسة القضايا الداخلية. وفي هذا الصدد، دافع إدمون عمران المالح بقوة عن المنتجات المغربية التي عانت من منافسة التجار الأوروبيين، كما دافع بحدة عن الفلاح المغربي ووضعته الاقتصادية، وهو ما جر عليه في متاعب كثيرة مع الإدارة الفرنسية.⁸⁵

83. كان جرمان عياش مكلفا بتتبع القضايا الدولية في الحزب، وبحكم معرفته الواسعة بالسياسة الفرنسية، فقد كتب باستمرار عن الوضع السياسي الفرنسي وأعطى أهمية خاصة للأحزاب الفرنسية خاصة منها الأحزاب التي لا تساير التوجه الاشتراكي أو الشيوعي، انظر مقالاته المنشورة في الموضوع في أعمدة صحيفة ليسبور (*L'Espoir*) سنة 1948، ومن بين المقالات الحاملة لتوقيعه نجد:

Germain Ayache, "Le peuple Français ne veut pas faire la guerre pour les Américains," *L'Espoir*, n°.198., 11 décembre (1948): 3.

Ibid., "On ne pourra Gouverner longtemps contre le peuple," *L'Espoir*, n°.171., 5 juin (1948): 3.

84. Germain Ayache, "Le sens politique des élections municipales," *L'Espoir*, n°.138., 19 octobre (1948): 3.

85. Edmon Amran El-Maleh, "La dévaluation, c'est la ruine sauf pour les spéculateurs," *L'Espoir*, n°.155., 14 février (1948): 1 et Ibid., "Ouvriers, Fellahs, Commerçants sont les victimes de la dévaluation," *L'Espoir*, n°.156, 20 février (1948): 1.

وساهمت عناصر أخرى بحماس شديد في إثراء عمل الحزب الشيوعي المغربي؛ ومثال ذلك ما كتبه شارل سيمون (Charles Simon)، في إطار الجهود الرامية إلى الدفاع عن العمال المغاربة، عن برقيات الاحتجاج التي وجهتها العناصر الشيوعية على الإجراءات التعسفية التي اتخذتها الإدارة الفرنسية في حق العمال بمنطقة تادلة.⁸⁶ وكانت العناصر اليهودية المنتمية للحزب الشيوعي المغربي منسجمة على العموم مع العناصر المسلمة في اتخاذ المواقف والتعبير عنها دون أي التباس.

وشكلت قضايا اليهود المغاربة عنصرا حيويا في اهتمامات الحزب الشيوعي المغربي. وعلى إثر احتدام النقاش حول الوضع التنظيمي للجماعات اليهودية، عبر الحزب بلسان يهود مغاربة عن استيائه من السياسة المتبعة في انتخاب أعضاء لجن الطوائف في مجموعة من المدن المغربية، كما انتقد طبيعة التنظيم المالي المرتبط بها، واعتبر أن الأمر يحتاج إلى القيام بإصلاحات عميقة لتجاوز الفساد الذي لحق بطبيعة العمل في هذه الجماعات. وفي هذا الصدد، كتب جوزيف ليثي (Joseph Levy)، مقالات انتقد فيها طبيعة التنظيم داخل الجماعات اليهودية وطريقة انتخاب الأعضاء، فاعتبر أنها لا تعبر عن اهتمامات اليهود المغاربة، ولا تخدم في شكلها التقليدي مصالحهم، فطالب بناء على ذلك بضرورة إعادة النظر في تكوينها وتنظيمها.⁸⁷

وفي واقع الأمر، كان اهتمام الحزب الشيوعي باليهود المغاربة شموليا منذ بداياته الأولى، شأنه في ذلك شأن اهتمامه بقضايا العناصر المسلمة. والثابت في تلك العلاقة هو فتح باب الانخراط داخل صفوفه بشكل مرن في إطار علاقة اتسمت بدرجة من التحول، وذلك ارتباطا بطبيعة تطور الأحداث التاريخية، وهي معطيات فسحت المجال أمام فئة عريضة منهم للارتقاء إلى مستوى القيادة والتسيير.

وإلى جانب رصد الأوضاع العامة المتعلقة باليهود المغاربة والدفاع عن الطبقات المستضعفة، تجند مناضلو الحزب، يهودا ومسلمين للوقوف في وجه الحركة الصهيونية التي بدأ دورها في التصاعد، فعملوا على تحذير اليهود من خطرهما. وفي هذا السياق، وجه إدمون عمران المالح نداء إلى اليهود المغاربة يحذرهم من أخطار

86. Charles Simon, "Protestation contre la Répression," *L'Espoir*, n.156, 20 février (1948): 2.

87. Joseph Levy, "Halte à la provocation fasciste," *L'Espoir*, n.149, 3 janvier (1948): 2.

الحركة الصهيونية، ودعاهم إلى التشبث بمغربيّتهم، كما طالبهم بتحقيق مزيد من التقارب مع المسلمين،⁸⁸ وهو التقارب الذي عرف هزة نوعية بعد أحداث وجدة وجرادة سنة 1948،⁸⁹ وشكلت منعطفا قويا في سياسة الحزب تجاه إدارة الحماية، مما فتح الباب للتساؤل مجددا عن مدى إمكانية توسيع مجال البحث في الموضوع، ورصده بناء على تحليلات تستند إلى تتبع مراحل تطور الحزب في علاقته باليهود المغاربة بناء على دراسة الحالات الخاصة بشخصيات بعينها ضمن المراحل المتقدمة من تاريخ المغرب المعاصر.

Bibliographie

- Al-Taqrīr al-Ṣādir ‘an Majmūat Wathā’iq wa ‘Arshīf al-Ḥizb al-Shiyūī al-Miṣrī bi ‘al-Ma’had al-Dualī li al-Tārikh al-‘Ijtimāī.* Amstardām-Hūlanda, s.d.
- ‘Ashfūr, Dūghlās ‘Iliūṭ. *Al-Taṭawwūrāt al-Siyyāsiyya fi al-Mamlaka al-Maghribiyya.* Tarjamat ‘Āida Sulaymān ‘Ārif wa Ahmad Mostafa Abou Hākma. Al-Dār al-Baydā’: Dār al-Kitāb, 1963.
- Ayache, Albert. *Al-Ḥarakāt al-Niqābiyya bi al-Maghrib, Maghrib. al-Ḥaraka, 1943-1948, juz’ 2.* Al-Dār al-Baydā’: Manshūrāt ‘Amal, Matba‘at al-Najāh al-Jadīda, 1997 .
- Banūna, al-Mahdi. *Al-Maghrib. Al-Sanawāt al-Ḥarija.* Jaddah: Kitāb al-Sharq al-‘Awsat, Sharikat al-Madīna li al-Ṭibā‘a wa al-Nashr, 1989.
- Bouaziz, Moustafa. “Le mouvement national (1912-1975) permanences et tentatives de renouvellement.” Thèse de Doctorat de 3^{ème} cycle, Université de Sorbonne, Paris, 1987.
- Bourrass, Mohamed. “Al-aḥzāb al-wataniya wa al-yahūd al-maghāriba bayna taṭawwūr al-awḍā’ al-ddākhiliya wa ‘aṣdā’ al-qaḍiyya al-filistīniyya 1934-1967.” *Utrūḥat duktūrāh fī al-tārikh al- mu‘āṣir, kulliyyat al-‘ādāb wa al ‘ulūm al-‘insāniyya, al-Ribāt, 2004.*
- Bourqia Abdeslam et al., *Essais sur l’histoire du Parti communiste marocain, 35 Années de lutte.* Casablanca: Éditions Al- Bayane, [entre 1973 et 1981].
- Būrqiya, ‘abd al-ssalām wa ‘ākahroun., *Lamaḥāt min Tārikh al-Ḥizb al-Shiyūī,* Matbū‘āt al-Bayān, s.d.

88. Oved, *La gauche française*, 327.

89. حول تفاصيل موقف الحزب الشيوعي واليهود المغاربة من أحداث وجدة وجرادة، انظر براص محمد، “الأحزاب الوطنية،” 217.

- El Moudden, Abderrahman, et Abdelaziz Bel Fayda, coord. *Germain Ayache, l'historien et le militant*. Rabat: Publications de l'Association Marocaine pour la Recherche Historique, 2015.
- Galissot, René. *Le patronat européen au Maroc: action sociale, action politique, 1931-1942*. Casablanca: Éditions Eddif, 1990.
- Ghalāb, 'Abd al-Karīm. *Tārīkh al-Ḥaraka al-Waṭaniyya min Nihāyat al-Ḥarb al-Rīfiyya 'ilā Binā' al-Jidār al-Sādis li al-Ṣahrā'*, aljuz' al-thānī. Al-Ribāt: Matba'at al-Risāla, 1987.
- Ḥabīb, Kāzim. *Yahūd al-'Irāq wa al-Muwātana al-Muntaza'a*. 'Itāliā, Mīlanū: Manshūrāt al-Mutawassit, 2015.
- 'Ismā'īl Sāmīḥ, Muḥammad. *'Aydulujiā al-'Islām al-Siyyāsī wa al-Shiyū'ia*. Bayrūt: Dār al-Ssāqī, 2010.
- Julien, Charles-André. *L'Afrique du Nord en marche. Nationalisme musulman et souveraineté française*. Paris: Julliard, 1952.
- Oved, Georges. *La gauche française et Le nationalisme marocain (1905-1955): Tome II: Tentations et limites du réformisme colonial*. Paris: L'Harmattan, 1984.
- Kenbib, Mohammed. *Yahūd al-Maghrib 1912-1948*. Al-Ribāt: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, silsilat nuṣuṣ wa 'a'māl mutarajama, raqm: 13, 2010.
- Rezet, Robert. *Al-'Aḥzāb al-Siyyāsiyya fī al-Maghrib*. Tarjamat Mohammed Darif, Mohammed Karami, Mohammed Chaqir. Al-Dār al-Baydā: Manshūrāt al-majalla al-Maghribiyya li 'ilm al-'ijtimā' al-ssiyyāsī, 1992.
- Yata, Ali. *al-Ṣaḥāfa al-Dīmuqrāṭiyya bi al-Maghrib, Ḥasīla wa Mu'ānāt*. Matbu'āt Al-Bayān, 1982.
- Zaydān, Nāṣir. *Dawr Rūsīā fī al-Sharq al-'Awsaṭ wa Shamāl 'Ifriqiya min Buṭrus al-'Akbar Ḥattā Vlādimīr Putin*. Bayrūt: al-Dār al-'Arabiyya li al-'Ulūm, 2013.
- Zouggari, Ahmed. "Islam et Nationalisme au Maroc (1912-1956)." Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, Ecole des Hautes Études en Sciences Sociales, Paris, 1976 .

ملخص: الثابت والمتحول في علاقة الحزب الشيوعي باليهود المغاربة

1943-1948

يتناول الموضوع أسس وحيثيات بناء الحزب الشيوعي سنة 1943 في إطار المغربة ودور النخبة اليهودية المغربية في ذلك، مع تتبع لمساره السياسي في علاقته باليهود المغاربة عبر مختلف الأحداث التاريخية التي عاشها مغرب الحماية، وذلك منذ مطلب الاستقلال في سنة 1944 إلى سنة 1948 عقب أحداث وجدة وجرادة. كما يبرز الموضوع معالم سياسة الحزب بمكوناته من المسلمين واليهود، في تبني أسلوب نضالي يسير في اتجاه الدعوة إلى الحفاظ على طابع التعايش وعدم السقوط في مساعي الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: الحزب الشيوعي المغربي، النخبة اليهودية المغربية ذات التوجه الشيوعي، جرمان عياش، إدمون عمران المالح، صحافة الحزب الشيوعي المغربي، الحركة الصهيونية، السياسة الاستعمارية، الفاشية، النازية، فرانكو، تهجير اليهود المغاربة، أحداث وجدة وجرادة.

Résumé: Le Parti communiste et les Juifs du Maroc: Constantes et variantes entre 1943 et 1948

Le présent article retrace les différents types de relations que les juifs du Maroc avaient entretenus avec le parti communiste dans sa première phase de création, ainsi que leur rôle crucial dans les différents événements qui ont marqué l'histoire du Maroc depuis la revendication de l'indépendance en 1944 jusqu'aux émeutes d'Oujda et de Jerrada en l'année 1948. Le parti n'a pas cessé de faire appel à ses membres, juifs et musulmans, pour maintenir la tolérance et éviter les entraves de la politique coloniale française.

Mots clés: Parti communiste marocain, élite juive marocaine, Germain Ayach, Edmond Amran El Maleh, presse du Parti communiste marocain, mouvement sioniste, politique coloniale, fascisme, nazisme, Franco, expulsion des juifs marocains, événements d'Oujda et Jerrada.

Abstract: The Communist Party and the Jews of Morocco: Constant and Variant between 1943 and 1948

This article traces the different types of relations that the Moroccan Jews had with the Communist Party in its first phase of creation, as well as their crucial role in the various events that have marked the history of Morocco since the demand of the Independence in 1944 until the riots of Oujda and Jerrada in the year 1948. The party has not ceased to appeal to its members, Jews and Muslims, to maintain tolerance and to avoid the obstacles of the policy Colonial France.

Key words: Moroccan Communist Party, Moroccan Jewish elite, Germain Ayach, Edmond Amran El Maleh, Moroccan Communist Party press, zionist movement, colonial politics, fascism, nazism, Franco, expulsion of Moroccan Jews, events of Oujda and Jerrada.

Resumen: El Partido Comunista y los Judios de Marruecos: Las variaciones constantes y entre 1943 y 1948

En este artículo se describen los diferentes tipos de relaciones que los Judios de Marruecos mantuvo conversaciones con el Partido Comunista en su primera fase de la creación y su papel decisivo en los acontecimientos que han marcado la historia de Marruecos desde la afirmación de la independencia en 1944 a los disturbios en Oujda y Jerrada en 1948. el partido ha seguido pidiendo a sus miembros, Judios y musulmanes, para mantener la seguridad y evitar las barreras de la política colonial francés.

Palabras clave: Partido Comunista de Marruecos, Marruecos judía Elite, Germain Ayashe, Edmond Amran El Maleh, prensa del partido comunista de Marruecos, movimiento sionista, política colonial, fascismo, nazismo, Franco, expulsión de los Judios de Marruecos, eventos de Oujda y Jerrada.